

وضميمة ؛ فلا بد من حدوث صدى لها . ولا يمكننا أن نتبع  
الحركات الحديثة في الإسلام بدون أن نرفع القواعد من الأفكار  
الإسلامية .

وقد يبدو واضحاً أن الأساس المنقح هو الدولة الإسلامية في  
القرن التاسع عشر . . أو على الأقل الإسلام في القرن الثامن  
عشر . ولكن هذه موضوعات لا زالت معلوماننا عنها محدودة .  
وقد ذهب كتاب الإسلام إلى الاهتمام بالقرن الأول إبان  
التقدم العلمي والديني ، وظهور حركة الصوفية وإخوان الصفاء .  
وبعد القرن الثالث عشر أراما يقرب من ذلك ، كان معتقداً أن  
الإسلام باق على قواعده الثابتة التي خلقها له العلماء والمشرعون  
والحكاهم والروحيون ، فلن يتقدم بل يتأخر . وهذا الرأي  
يتراءى لنا - من بعض الوجوه - أنه صحيح . والحق أنه صدر  
عن أحد علماء الإسلام الحديثين . ولكن لم تبق نظم العقيدة  
والفكر سائدة أكثر من ستة قرون . وإذا تقدمت القواعد

في العالم .

وليس من شك في أن آراء الأستاذ جب جديدة بالاهتمام . وقد  
أهدى كتابه هذا إلى ذكرى « محمد حسين عبد الرزاق » تخليداً لصداقة  
٢٥ عاماً . ( الترجمة )

وانتشرت من محاجرهم دموع الندامة ، وانصرفوا مع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، وقد عاهدوه على الإخلاص لهذا الدين ،  
والاعتصام بحبل الله المتين ... وإذا बोحي الله ينزل على الرسول  
بهذه الآيات :

« يا أيها الذين آمنوا ، إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا  
الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم  
تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد  
هدى إلى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته  
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا  
تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين  
قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار  
فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » (١)

( دمشق - المزة )  
عمر الخطيب  
( فني الفيحاء )

(١) سورة آل عمران

الإنجازات الحديثة في الإسلام : (\*)

## أسس الفكر الإسلامي

للأستاذ ه . ا . ر . جب

أستاذ اللغة العربية بجامعة أكسفورد وعضو مجمع فؤاد للغة العربية

إذا أردنا أن نحيط علماً بالتيارات الفكرية الدينية بين المسلمين  
اليوم ، واجهتنا صعوبة عملية . فلم تحدث حركة فكرية من غير  
أن يكون لها تأثير . وسواء كانت دوافعها كثيرة وقوية أو قليلة

(\*) H ' A ' R ' gibb : Modern Trends in Islam ' chicago 1947

أحدث مؤلفات المنصرف الصوره : ا . ر . جب أستاذ اللغة العربية  
بجامعة أكسفورد . وقد ولد بمصر وقضى سنوات عديدة في الدراسة  
والكتابة عن الإسلام والمسلمين . وقراء العربية يعرفونه من مجونه في  
مجلة الأدب والفن . وعندما كان أستاذاً زائراً للدين المقارن بجامعة  
شيكاغو بالولايات المتحدة ، وضع الأستاذ جب هذا الكتاب الذي تقدم  
اليوم ما تبصر من فصله الأول . وهو يكشف عن أساس وأسباب وطبيعة  
حركة المجددين ويحلل أهدافها ، ويصرح جهاد مفكرى الإسلام أمثال  
جمال الدين وأحمد خان وعبد إقبال ، والصراع بين روح الشرق وعقل  
الغرب ، ويبحث القانون والمجتمع في الإسلام ، وأخيراً يتحدث عن الإسلام =

هؤلاء : يا آل الأوس ا ونادى هؤلاء : يا آل الخزرج ا ولم  
ينصرف اللعين إلا بعد أن احمرت الأحداق ، واحتدم الغيظ ،  
وثارت الأحقاد ، ونظائرت الدماء إلى الرؤوس ، وانفترقا وقد  
تواعدوا على القتال ...

\*\*\*

سمع رسول الله بما أصاب الأنصار ، فخرج إليهم فيمن كان  
معه من المهاجرين وفي وجهه الغضب ، ووقف بينهم يرمقهم  
بنظرات أرجمهم إلى صوابهم ، وأعادت إليهم رشدهم ، ثم تطلع  
إليهم بعينين دامتين وقال - وقد ملك عليهم ألباهم ، وتمكن  
من شفاف قلوبهم - : « يا معشر المسلمين ا الله الله ا اتقوا  
الله ا أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ا بعد أن هداكم الله  
إلى الإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به  
من الكفر ، وألف به بينكم » ... ولم ينته صلى الله عليه وسلم  
من كلامه حتى عرف القوم أنها زغرة شيطانية ، ومكيدة يهودية ،  
فتعانقوا وتمتمت ألسنتهم بكلمات الأخوة الحق ، والتوبة الصادقة ،

ولكن يمكن أن تمارض من اعتبارات مختلفة . ذلك أن القرآن أساساً غير قابل للترجمة ، كما هو الحال في الشعر الرصين . إن المتنبي لا يستطيع أن ينقل نبوءته إلى لغة عادية ، يمكنه أن يعبّر عن نفسه في صور متكسرة ، كما تلمح موسيقى الأصوات دوراً غير محدود في جذب عقل السامع لتلقى الرسالة . مثلاً حالة الترجمات اللاتينية والإنجليزية لكتاب الإغريق والعبريين ؛ فقد أعطوا الكلمات الجديدة شيئاً من القوة العاطفية ، بدون اعتماد على التركيب - وأحياناً المعنى - الأصلي .

وإن ترجمة إنجليزية للقرآن ، ينبغي أن تستخدم تعبيرات دقيقة صحيحة للمبارات الرقيقة الذهبية في اللغة العربية ، وفي نواحي القصص والتشريع وما أشبه ذلك ، تكون الخسارة أقل خطراً ، بالرغم من أن تفكك المعلومات ، بل والظلال الجليّة والجوانب البليغة ، قد يكون لها تأثير غير محدود . ففي جملة بسيطة مثل « بالنا كيد نحن نحى ونميت وإلينا الرحيل (المصير) » :  
( verily We give life and death and unto Us is the journeying ) يستحيل علينا أن نظهر - في الإنجليزية أو أية لغة أخرى - قوة الضمير « نحن » المكرر خمس مرات في الكلمات الست الأصلية (١) .

إننا لن نتطلع إلى معنى القرآن عند العربي ، حتى نبتين قيمة الدور الذي تقوم به اللغة في تحديد المواقف السيكولوجية .

فبزوغ الحياة العقلية عند العرب - كما بين الآخرون - قد ازدهر بالخيال ، الذي ظهر في الإبداع الفني . ولطالما قيل إنه ليس للعرب فن ، وقد يكون هذا صحيحاً إذا حددنا الفن بأعمال كالنحت والطلاء ... ولكنه يكون تحديداً ظالماً خاطئاً . فالفن هو أي إنتاج يعبر فيه الشعور الجمالي عن نفسه . وهناك شك في حاجة الناس إلى التمييز الفني بأي شكل ، سواء في الموسيقى أو الرقص ، أو الفنون المادية والنظرية الأخرى ... وميدان الشعور الجمالي عند العرب هو أساساً الكلمات واللغة ، وهذا أكثر إغراء بل أعظم تباطؤاً وخطراً من سائر الفنون . إذن فن السهل أن نفهم السبب في أن العرب - الذين عندما استخدم الكلام البليغ أسعى الفنون - يرون في القرآن أجموبة حقيقية وعملا فوق طاقة البشر .

ولقد كان العرب والمسلمون عامة مجبرين على إنكار الأفكار

(١) سورة ٥٠ آية ١٢ : « إنا نحن نحى ونميت وإلينا المصير (في)

الظاهرية للمعقّدة الإسلامية في هذه الفترة ، فإن التكوين الأصلي لحياة المسلمين الدينية ، قد اعتراه التغيير والإصلاح .

وسنمّن النظر فقط إلى الظواهر الحيوية الخارجية التي ظهرت في الإسلام ، مثل تكوين الامبراطورية العثمانية في الشرق الأدنى ، وقيام امبراطورية الغول في الهند ، ونشاط الشيعة في فارس ، والتوسع في أندونيسيا وشبه جزيرة الملايو ، ونمو المجتمع الإسلامي في الصين ، وطرد الإسبان والبرتغال من مراكش ، وامتداد نطاق الإسلام في شرق أفريقيا وغربها . وقد اعتبرها قدماء المؤرخين حركات حربية ، وإن عقيدة الفزوة والتوسع عقيدة حية . ونحن نعرف - أكثر من قبل - الدور الذي لعبته هذه المعقّدة .

إن أساس الفكر الإسلامي هو بالطبع : القرآن . وليس القرآن - كالأناجيل بمجموعة كتب ذات تواريخ مختلفة وأبدي متباينة ؛ إنه سفر من السور بلغها محمد (ص) في السنوات العشرين الأخيرة من حياته تقريباً . فيشتمل على تعاليم دينية وأخلاقية ، ومجادلات ضد الكفار ، وخلاصات للحوادث السابقة ، وقواعد للشئون الاجتماعية والمسائل الشرعية . وقد اعتقد محمد (ص) أن كل ما جاء به من هذه الأمور كان يوحى من الله ، إذ لم يكن مصطبغاً بفكره الخاص . إنه كلام الله نفسه قام بتلقينه الملك جبريل . وبعد ما قاله الأستاذ دنكن بلاك مكدرولند من اقتراب العالم المجهول من العقل السامى وعن نظرة الشرقيين للنبوة ، فإن من الضروري أن أتبع الأسس النفسية لهذه المعقّدة .

إننا قد نجد عن الصواب إذا اعتبرناها مجرد نظرية (بديهية) متوارثة جيلاً بعد جيل منذ ألف وثلاثمائة عام . بل هي على النقيض من ذلك اعتقاد حي طالما تجدد وثبت في عقل المسلم - وخاصة العربي - بدراسته للكتاب المقدس .

لقد عارض المسلمون المتدينون عامة في ترجمة القرآن ، حتى إلى اللغات الإسلامية الأخرى (١)

وهذا الاتجاه تؤيده أدلة نظرية ، منطقية في حد ذاتها ،

(١) يرى علماء الأزهر الآن جواز ترجمة القرآن لأغراض غير دينية بواسطة مسلمين أعاجم : أنظر نور الإسلام (مجلة الأزهر) ص ٢ من ١٢٢ - ١٢٣ ، ص ٨ من ٧٧ - ١١٢ ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ، وخاصة بحث الأستاذ محمد فريد وجدي : « الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن » ، وعارض الرأي بشدة السلفي الشيخ رشيد رضا - في كتابه : « ترجمة القرآن » ، (القاهرة ١٩٢٦) .

في الإسلام « ولا بد من معرفة معنى الاجتهاد والدور الذي لعبه في تاريخ الفكر الإسلامي . وهو — كما يعتقد بعض المجددين حرية الحكم . ومن الناحية الأدبية يعنى الاجتهاد : إجهاد النفس في محاولة الكشف عن الأغراض الحقيقية لتعاليم القرآن والسنة . وقد عمل المتدينون على تحديد مرضوعه خوفاً من أن يفتح باب المعارضة الفردية والانتقاسام . وأخيراً لم تبق ثغرة في هذه المسائل لم نسد ، فأقبل باب الاجتهاد تماماً (١) .

ومهما يكن من شيء فإنها ظاهرة خطيرة للسنة الإسلامية Sunni Islam في قبولها للاختلافات الواقعة في الرأي في المجتمع — ولطالما نغرت بهذا — وأحسن مثل هو المذاهب الأربعة في الشرع : الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي ، أسسها الأئمة الأربعة في القرنين الثاني والثالث ، وهم جميعاً من السنيين . فهذه المذاهب — مثلاً — تدرس في جامعة الأزهر الدينية . حقاً إن الاختلافات بينها تنحصر في نقط ضيقة في الشرع والشماثر ، بالرغم من أن الحنابلة — بعدائهم المستحكم لكل المجددين — يمارضون الإجماع من الناحية الدينية — في كل شيء إلا مدلوله الضيق ، وأحياناً يظهر عدم رضائهم عن الآراء الأخرى .

( ينبع )  
ترجمة محمد محمد علي

(١) نوقش موضوع تحديد الاجتهاد في نور الإسلام — مع إشارة خاصة إلى دعاوى المجددين : س ١ ص ٣٧ — ٤٢ ، ٤٣ ، ٢٨١ — ٢٨٦ ، س ٤ ص ٣٩١ . ونجد الرأي الإصلاحى السني في كتاب .  
H \* Laoust Le Califat dans la doctrine de Rachid Rida  
Beirut 1638

محمد خفيف  
مؤلف

يقدم

مِنْ رِوَايَةِ الْمُنْظَرِ

صَوْرَاتُ تَفَادِيَةٍ فَكَّرْتَهُنَّ جِيَاثًا اِجْتِمَاعِيَّةً

العالمية مثل « القانون الطبيعي » أو المعدل التالي ، وأظهروا الثنائية أو المادية على أنها مؤسسة على طرق مزيفة في التفكير تنتج خيراً قليلاً وشرأ كثيراً . وسنرى كيف أن مصلح الإسلام الكبير — في القرن التاسع عشر — جمال الدين الأفغاني ، صب جام غضبه على المجددين الهنود الذين حاولوا إثبات صدق الإسلام بمناقشة « تلاؤمه مع الطبيعة » . ومع أن العلماء المسلمين قد وجدوا في المنطق والرياضيات — مثلاً — فائدة ، وشجعوا الأسلوب « العلمى في التفكير ؛ إلا أنهم قد أبقوا هذه الأمور في مراتب ثانوية .

والإجماع من مميزات الفكر الإسلامى . وهناك من حاولوا تحديده بإجماع التملين ، ولكن حادثاً عجيباً في القرن السابع عشر يبين كيف كان هذا النوع لا فائدة منه ، حتى ولو آزرته القوة الحاكمة ضد الرأى العام . فمما بدأ استعمال القهوة ينتشر في الشرق الأدنى ، أجمع العلماء على أن شرب القهوة حرام ، وعقوبته مثل عقوبة شرب الخمر . وفعلوا حوكم بعض الأفراد لانتهائهم في شربها علانية (١) ولكن إرادة المجتمع تغلبت . واليوم يحتسى الجميع القهوة بحرية حتى المتزمتون الذين يمارضون الإجماع في البدء .

ومن الواضح أن الإجماع كان دائماً موضع خلاف بين المحافظين والمجددين ، وهو ليس مبدأ حرية بل أساساً للسلطة ، ولو أن حكمه يقتصر على المسائل التي لم يحكم فيها القرآن أو السنة ، لذلك ولأنه قوة تسمح بما يسمى بمجديداً ، فإن العلماء الروحانيين على مر العصور — من القرن الثالث إلى الوهابيين اليوم يمارضون فيما يترتب عليه ، ويقصرون شرعيته على الجيل الأول من المسلمين . هذا في حين أن المجددين على الدوام قد اعتمدوا عليه في توسيع مدى عدالة أعمالهم (٢) .

والاجتهاد عكس الإجماع . وقد أطلق عليه إقبال « مبدأ الحركة

(١) راجع دائرة المعارف الإسلامية ، مادة « نهوة » ، بقلم س . فان أرتندك .

(٢) يجد القارىء خلاصة نتائج البحث في الإجماع في كتاب : O ' Pesle : Le Fondements du droit musulman ' Casad . l'ancá ' 1644 . وكذلك دائرة المعارف الإسلامية مادة إجماع بقلم د . ب . كدونلد . وقد ظهر حديثاً كتاب ( الإجماع في الشريعة الإسلامية لصاحب المال على عهد الرازق بك . ( المترجم )